

هؤلاء وأولئك في نفس اليوم؟ وهل صوتك انت هو هو بين الأمس واليوم؟ نستطيع أن نقول، مع جيش القائلين، أن بنية أي لغة اليوم تشبه بنيتها في الأمس أكثر مما تشبه بنيتها في أمس الأول، لما سقط من عناصر ودخل من عناصر مستجدة. أنا لا أستطيع أن أمنع نفسي مما يشبه اليقين من أن (تافه) مشتقة من (تفة) وان تفة مبنية بناءً عربياً من صوت نسمعه يرافق عملية البصق أو عملية تَفّ شيء مستكره المذاق. فعندما نسمع صوتاً يشبه صوت (أخخ تفة) ندرك أن (أخخ) هي صوت تجميع البصاق من أعلى الخلق بوساطة الزفير المدفوع بقوة من الرئتين بغية تنظيف الخياشيم من ذلك البصاق ودفعه نحو مقدم الفم لتفقه خارجاً. وقس على ذلك (نفّ) و(أحّ) و(تفّ)... وجميع مشتقاتها بالطرق المعلومة وغير المعلومة. ولكن أصوات الكلمات هذه مختلفة كثيراً عن أصوات الأح والتف والنف؛ إلا أنها متفقة كثيراً معها في الآن ذاته. ألا يكون فعل التف، هو وغيره، مما مكّن الانسان من ضبط مخرج التاء وتحديدته ومكنه من ثمّ من تجريد الحرف من الصوت الطبيعي؟ ألا يمكن أن يكون الحرف مستخرجاً من الفاظ طبيعية مثل (تف) و(تفه) و(نف) و(هم) و(عطس)... بدلاً من أن تكون الكلمات مصنوعة من حروف؟ نظن أن البداية كانت أصواتاً طبيعية ثم صارت حكياً ثم صارت ألفاظاً. ومن الحكى المفروزة اجراسه والألفاظ الأولية المهذبة التقاسيم تطل الحروف المنحوتة (نسبياً) برؤوسها المتميزة، فيمكن للانسان التعرف عليها، واستخدامها على هامش اللغة الصوتية؛ للكتابة والرسالة وضبط اجراس الكلام حماية للسمع من خلط الأصوات الحاملة من الأجراس المشتركة (مما يؤدي إلى التباسات معنوية).